

ويقول ابن فارس إن هذا هو كلام كل العلماء⁽²⁰⁾ في أننا قد فقدنا الكثير.

وهذه الشهادات تعني أننا منذ عصر الرواية ثم عصر التدوين لا نملك ولا نقرأ ونفسر سوى (الجزء الأقل) من التراث. وبالتالي فإن هذا الأقل لا يصور لنا غير جزء من حقيقتنا، وتظل هذه الحقيقة غائبة. ولن يتسنى كشفها إلا بإجراء حفريات معرفية داخل هذا القليل لنكشف من خلاله عن معالم ذلك الكثير الغائب.

ثم إن هذه الشهادات تشير إلى قضية هامة جداً، وخطيرة جداً، وهي إننا حسب مصطلحات ابن فارس في مجال معرفي يحكمه ويتحكم فيه عاملان مهمان، هما عامل (الخلاف) وعامل (الاحتمال والإمكان). وفي ذلك يقول ابن فارس:

(إننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب فلا يكاد واحد منهم يخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان)⁽²¹⁾.

وهذه نتيجة طبيعية لمشكلة ضياع الأكثر من الموروث، مما يجعل ما بين أيدينا ليس سوى علامة تشير إلى المفقود وتدل على الغائب. وهو هنا موروث غير قطعي الدلالة، وهذا ما يجعله في دائرة (الاحتمال والإمكان)، وتفسيره حينئذ لن يكون قطعياً لافتقاره إلى كامل البراهين. ومن هنا صار اختلاف علماء اللغة، وصارت كلمة (كذب) كلمة مشكلة وكل الموروث الأدبي هو كذلك في موضع الاحتمال والإمكان، وفي موضع الاختلاف.

وتكون كلمة (الكذب) والتكاذيب مصطلحات مفتوحة،